السالفة بالشرح على وجه الإيجاز :

١ - مراعاة الحب والمودة : إن أهم أصل لتحقق السعادة الزوجية هو مراعاة الحب والمودة بين الزوجين، وقد وضح القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** [٥]

وقدجعل الله تعالى أزواج بني آدم من جنسهم حتى يأنس كل منهم إلى صاحبه ، ويسكن إليه وكذلك جعل بينهما المحبة والتعاطف والرحمة.

قال ابن كثير: "ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهن وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نفرة لوكانت الأزواج من غير الجنس وذلك من تمام رحمته ببني آدم "[٦].

ومعنى قوله : **(لتسكنوا إليها)** أي لتميلوا إليها وتستأنسوا بها ، ومعنى قوله : (جعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الأزواج وزوجاتهم محبة وشفقة وألفة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : " المودة حب الرجل امرأته ، والرحمة شفقته عليها أن يصيبها بسوء "[٧].

وفي هذه الآية بيان شامل لما تقوم عليه الرابطة الإنسانية بين الزوجين من المحبة والرحمة وما يجتهد الإنسان لتحقيقه في الزواج من السكون والألفة ، فإن الله تعالى قد وضع في الزواج مقاصد روحية وإنسانية تتحقق بها الألفة بين الزوجين من جهة ، وتستريح نفس كل منهما بها من جهة أخرى ، وذلك حين يتحقق إشباع الغريزة الجنسية ويكثر النسل ، وتتحقق السعادة للمجتمع والألفة بين أبنائه ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها [٨].

ويحث النبي صلى الله عليه وسلم على إنماء و تطوير هذه الرابطة الإنسانية بالحب والتعاطف والرحمة ولو بأمر يسير مثل نظرة المحبة والرحمة من أحد الزوجين للآخر كما جاء في الحديث الشريف : " إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظر رحمة ، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما "[٩].

ومراعاة الحب والمودة إنما تتحقق

بحسن العشرة من جانب الزوجين معاً ، قال الله تعالى : **(وعاشروهن بالمعروف)** [١٠]

أي وعاشروا أيها الأزواج زوجاتكم بالمعروف وحسن المعاملة من طيب الأقوال والهيئات بحسب طاقتكم وذلك بأدائكم الحقوق التي فرض الله عليكم لهن [١١] .

فإن حسن العشرة الذي بينه القرآن الكريم مطلوب من الجانبين بل هو واجب على كليهما على سواء ، إذ بدون العشرة لا يقوم أساس الحياة الزوجية الطيبة كما قال تعالى : **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)**. قال أبو زيد : " تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله فيكم " [١٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما : " أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي ، لأن الله تعالى يقول: **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)**[١٣] .

فالآية الكريمة تحث على حسن المعاملة بين الزوج والزوجة ، وتزين كل منهما للآخر من أرفع درجات حسن العشرة ، وكذلك يشمل حسن العشرة تحمل أذاهن والعفو عنهن كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : " استوصوا بالنساء خيراً فانهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شئ في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج "[١٤].

وكذلك يشمل حسن العشرة الحديث الطيب وإدخال السرور عليها واللطف بها والتبسم لها ، وإظهار محبتها واحترامها[١٥].

وهذا الأمر لايقتصر على أداء الحقوق والواجبات المتبادلة بينهما ، وإنما يتعدى إلى شئ أكبر منه وهو من معالي الأخلاق وطيب المعاملة حتى يصل إلى درجة الفضيلة كما أكد النبي عليه الصلاة والسلام : "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي " [١٦] .وفي رواية : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم " [١٧] .

٢- الإحساس بالمسئولية

الزواج مسئولية هامة ، ومن هنا يجب على كل من الزوجين أن يحافظ على حقوق وواجبات الآخر ، لأن المسئولية واقعة على كليهما وليس على أحدهما دون الآخر ، ويظهر الإحساس بالمسئولية في أمور أهمها ما يلي :

أ- مبادلة النصيحة

ب - المعاونة على الطاعة

ج - مراعاة المشورة في جميع الأمور

وفيما يلي شرح موجز لكل من الأمور السالفة :

أ - مبادلة النصيحة : قال الله تعالى : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...**)[١٨]

أي يوافق بعضهم بعضا في طاعة الله وإعلاء كلمته ويأمرون الناس بالمعروف وبكل خير ، وينهونهم عن المعاصي والكفر والشرك والنفاق وغير ذلك ، ويؤدون ما وجب عليهم ويطيعون الله ورسوله في كل ما أمروا به ويكفون عما منعوا عنه [١٩].

ب - المعاونة على الطاعة : وهذا أيضا من مظاهر الإحساس بالمسؤلية ، قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان) [٢٠] .

أي وتعاونوا على البر والتقوى ، وفعل الخيرات وكل ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان أي المحارم والمآثم [٢١].

وقال الطبري : " الإثم ترك ماأمرالله بفعله والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم " [٢٢] .

وهذه الآية تأمرنا بالتعاون على كل ما ينفع الأمة في الأمور الدنيوية والأخروية وخاصة ما يتعلق منها بالأسرة .

والتعاون على الطاعة وفعل الخيرات يحقق التفاهم بين الزوجين فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على معاونة كل منهما للآخر حتى في أداء العبادات والنوافل مثل قيام الليل ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت رش في وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى رشت في وجهه الماء" [٢٣] .

ج - مراعاة المشورة في جميع الأمور: قال عزوجل (**وأمرهم شورى بينهم**)[٢٤] والأسرة أصل المجتمع فكان أولى أن تجري أمورها بالشورى حتى في أمور مثل رضاعة الطفل وفطامه كما قال تعالى :(**فإن ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور**

فلا جناح عليهما) [٢٥].

أي فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه فلاجناح عليهما في ذلك [٢٦]

ويستفاد من هذه الآية الكريمة أن الزوجين يحتاجان في أمور حياتهما إلى المشورة ومبادلة الرأي فيما بينهما ، وهذا من أقوى العناصر التي توثق العلاقة بينهما وبذلك تسعد الأسرة وتستقر الحياة الزوجية[٢٧].

٣ - المحافظة على الغيب : المحافظة على الغيب من صفات الزوجة الصالحة ، وقد جاء ذلك صريحا في قوله تعالى : **(فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله)** [٢٨].

أي من النساء صالحات مطيعات لله ولأزواجهن ، وقائمات بما أوجب الله عليهن من حقوق الله وحقوق الأزواج ، وحافظات للأمور الزوجية التي لايجوز أن يعرف عنها الآخرون ، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في قوله :" خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك [٢٩].

والمحافظة على الغيب واجب على كلا الزوجين ولكن في حق الزوجة أشد لأن تساهلها في هذا الأمر يأتي بنتائج سيئة على الأسرة في الدنيا والآخرة ، وحفظ الغيب يشمل المال وقضايا الحياة الزوجية واجتناب الزنا [٣٠] .

قال بعض العلماء : " ومن جملة الذي ينبغي أن يحفظ ما يكون بينهما من علاقة خاصة فلاتكون حديثا في المجالس ، أوسمرا في الندوات مع الأصدقاء والصديقات"[٣١] .

وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم الإباحة بأسرار الحياة الزوجية بين الناس حيث قال : " إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرّها [٣٢].

ويستفاد من الحديث تحريم نشرأسرار الحياة الزوجية ، وخاصة ما يدور بين الرجل والمرأة مما لايطلع عليه أحد ، لأن في ذلك نشر

للرزائل ، وهتك للستور وهو لايتفق . وخلق الحياء الذي يجب أن يكون عليه المسلم والمسلمة .

وقال الإمام النووي : " في هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل أو نحوه " (٣٣).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- سورة البقرة : ٢٢٨.

٢- رواه الترمذي في أبواب الطهارة ، باب فيمن يستيقظ ويرى بَللاً ولا يذكر احتلاماً ، ج ١، ص ٩٩، ط: سعيد كمپني كراچي پاكستان . قوله : (شقائق) أي نظائرهم في الخلق والطباع لأنهن شقق منهم ولأن حواء شققت من آدم (نفس المصدر ج ١ص ٩٩ في الهامش).

٣- سورة البقرة : ٢٢٨ .

٤- تفسير الطبري ج ٤ ص ٥٣٣.

٥- سورة الروم : ٢١، وراجع سورة النساء : ١، والأعراف : ١٨٩، والنحل : ٧٢.

٦- تفسيرابن كثير ج ٣ ص ٤٢٩، وراجع تفسير الطبري ج ٢١ ص ٣١.

٧- تفسير القرطبي ج١٤ ص ١٧، وراجع تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج ٧ ص ١٦٨.

٨- انظر فقه السنة للسيد السابق ج ٢، ص ١٣٧ وما بعدها ، والإسلام وبناء المجتمع للدكتور أحمد محمد العسال ص ٢٢١ وما بعدها .

٩- أخرجه ميسرة بن على في مشيخته والرافعي في تاريخه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ورمز السيوطي في الجامع الصغير على صحة هذا الحديث .

١٠- سورة النساء : ١٩. وإنما يراد من حسن العشرة ما تقع بين الزوجين من المحبة والمودة والتأنس وما يجب على كل منهما من معاملة الآخر بحسن العشرة أي المصاحبة الطيبة والبعد عن الكراهية والبغض فيما بينهما .

١١- تفسير الطبري ج ٢ ص ٣١٢، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٦. ولمزيد من التفسير انظر : مجمع البيان ج ٣، ص ٢٥، وتفسير أبي السعود ج ٢ ص ١٥٨، وتفسير المراغي ج ٥ ص ٢١٤.

١٢- تفسير الطبري ج ٢ص ٤٥٣ ،والفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبه الزحيلي ج ٧ ص ٣٢٧ .

١٣- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة لصديق حسن خان ص ٣٦.

١٤- رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء حديث رقم ١٤٦٧، ج ٢ص ١٠٩١.

١٥- انظر : الزواج لمحمد اسماعيل ابراهيم ص ٤١.

١٦- الحديث رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء ، حديث رقم ١٩٧٧ص ٦٣٦ بتعليق عبد الباقي .

١٧- رياض الصالحين ، باب الوصية بالنساء ص ١٧٢.

١٨- سورة التوبة : ٧١.

١٩- انظر تفسير الطبري ج ١٠ ص ١٧٨ ، وتفسير ابن كثير ج ٢ص ٣٦٩، وتفسير الشوكاني ج ٢ ص ٣٧١، والتفيسر الواضح للحجازي ج ١٠ ص ٦٩، ومسئولية المرأة في الإسلام للدكتور بدوي عبد اللطيف عوض ص ٢٠.

٢٠- سورة المائدة :٢.

٢١- انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦، وتفسيرالقرطبي ج ٧ ص ٤٧ .

٢٢- تفسير الطبري ج ٧ ص ٦٦.

٢٣- رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب اقامة الصلاة ، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل حديث رقم ١٣٣٦ ص ٤٢٤ .الرش هو الذي لايؤذي ولا يؤدي للاستفزار ،ويكن استعمال شئ آخر كماء الزهر أو مسح الوجه بشئ من الطيب .

٢٤- سورة الشورى : ٣٨ .راجع تفسير المراغي لتفسير الآية ج٧ ص ٥٣.

٢٥- سورة البقرة : ٢٣٣.

٢٦- تفيسر ابن كثير ج ١ ص ٢٨٤ .

٢٧ - انظر تفصيل ذلك في " الإسلام عقيدة وشريعة " للشيخ شلتوت ص ١٥٩.

٢٨- سورة النساء : ٢٤.

٢٩- رواه النسائي في سننه ج ٦ ص ٦٩، وراجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٩١ ، وتفسير الطبري ج ٣ ص ٦٠، وتفسير الشوكاني ج ١ ص ٤٦١ ، وتفيسر القاسمي ج ٥ ص ١٣١.

٣٠- انظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٧٠.

٣١- الحلال والحرام ليوسف القرضاوي ص ١٦٤.

٣٢- الحديث رواه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب تحريم افشاء سر المرأة ، حديث رقم ١٤٣٧ ص ١٠٦٠، بتعليق عبد الباقي ، قوله : (يفضي إلى امرأته) أي يصل إليها بالمباشرة والمجامعة .قال تعالى : (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) والإفضاء في الحقيقة الانتهاء (نفس المصدر والصفحة في الهامش) .

٣٣ - شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٤٦٤ ط بيروت .

المراجع

القرآن الكريم .

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (الشهير بتفسير أبي السعود) لقاضي القضاة الإمام أبي السّعود محمد بن العمادي المتوفى سنة ٩٥١هـ ، ن : دار احياء التراث العربي بيروت لبنان ، بدون تاريخ .

٢- الإسلام وبناء المجتمع للأستاذ الدكتور أحمد محمد العسال ، ن : دار القلم الكويت .

٣- الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت ، ن : دار الشروق مصر، ط ثالثة ١٤١٤هـ /١٩٨٥م .

٤- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٥٤ هـ ،

ن : دار الفكر ، ط : ثالثة (١٤٠٤ هـ /١٩٨٣م) .
٥- تفسير القرآن العظيم (الشهير بتفسير ابن كثير) للحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) ، ن :دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، بدون تاريخ .
٦- تفسيرالمراغي لأحمد مصطفى المراغي ، ن : مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط : رابعة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
٧- التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي ، ن : دار التفسير بالقاهرة ، ط : عاشرة (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .
٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (الشهير بتفسير الطبري) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٢٢٤هـ) ، ن : دار الفكر ، ط : (١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) .
٩- الجامع لأحكام القرآن (الشهير بتفسير القرطبي) للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١ هـ /١٢٧٣م) ، ن : دار احياء التراث العربي بيروت ط (١٩٦٧ م)
١٠- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة للسيد صديق حسن خان المتوفى سنة (١٣٠٧هـ) بتحقيق وتعليق الدكتور مصطفى سعيد الحسن ومحمد الدين مستو ، ن : مؤسسة الرسالة ، ط : ثانية (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
١١- الحلال والحرام ليوسف القرضاوي ، ن : دار القرآن الكريم ط (١٩٧٨م) .
١٢- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام يحي بن شرف النووي المتوفى (٦٧٦هـ) ، ن : المكتبة الإمدادية السعودي ، بدون تاريخ
١٣- "الزواج " لمحمد اسماعيل ابراهيم ، ن : دار الفكر العربي بالقاهرة ، ط : (١٩٨١م).
١٤- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني المتوفى بالبصرة سنة (٢٧٥) بتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، ، ن : دار احياء السنة النبوية ، بدون تاريخ .
١٥- سنن الترمذي (جامع الترمذي) للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة (٢٧٩ هـ) ن : سعيد كمپني كراچي باكستان ، بدون تاريخ
١٦- شرح النووي لصحيح مسلم للإمام محي الدين أبي زكريا يحى بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، ن : دار الفكر بيروت ، ط ثانية (١٩٧٢م).
١٧- صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة (٢٦١هـ)، ن دار احياء الكتب العربية ، ط أولى : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .
١٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية بالتفسير (الشهير بتفسير الشوكاني) للإمام محمد بن على الشوكاني الصنعاني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ)، ن : البابي الحلبي بمصر ، ط أولى : (١٣٤٩هـ) .
١٩- الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ، ن : دار الفكر بيروت، ط ثانية : (١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) .
٢٠- فقه السنة للسيد السابق ، ن : دار البيان الكويت ، ط : (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م) .

٢١- محاسن التأويل (الشهير بالتفسير القاسمي) لمحمد جمال الدين القاسمي المتوفى (١٣٣٣هـ /١٩١٤ م) بتعليق محمد فواد عبد الباقي ، ن : عيسى البابي الحلبي بمصر ، بدون تاريخ ورقم طبع .

٢٢- مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفصل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة (٥٤٨هـ) ،ن: دار إحياء التراث العربي بيروت ، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه الفاضل الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي.

* * * * *

الكذب

رأس الذنوب : الكذب ، هو يؤسسها ، وهو يتفقدها ويثبتها ، ويتلون ثلاثة ألوان : بالأمنية والجحود والجدل . ..

يبدو لصاحبه بالأمنية الكاذبة فيما يزين له من الشهوات، فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفي ، فإذا ظهر عليه قابله بالجحود والمكابرة ، فإن أعياه ذلك ختم بالجدل ، فخاصم عن الباطل ووضع له الحجج ، والتمس به التثبت وكابر به الحق حتى يكون مسارعاً للضلالة ومكابراً بالفواحش .

(الأدب الصغير)